ثقافة

وقفة مع

عبد الوهاب عيساوي

أُفضّل أن أكون قارئاً وفلّاحاً

تقف هذه الزاوية مع شخصية ثقافية عربية في أسئلة حول انشغالاتها الإبداعية وجديدها وما تودّ مشاطرته مع قرّائها. «لحظات الوعي تأتي متأخّرة عن زمن الكتابة. هذا ما أكتشفه دائماً حين أتأمّل نصوصي السابقة»، يقول الروائي الجزائري لـ«العربي الجديد»

الجزائر ـ **العربي الجديد**

عبد الوهاب عيساوي

■ ما الذي يشغلك هذه الأيام؟

بعد عشر سنوات من كتابة روايتي الأُولى «سينما جاكوب»، أجدُني أحاول إعادةَ تمثّل هذه التجربة بعينٍ مختلفة، مُتجرّداً من كلّ إملاء. وفي الوقت نفسه، أُجرّب أن أُصلح الكثير من المشاكل التقنية التي واجهتُها سابقاً ككاتب. فلحظات الوعي تأتي متأخّرة عن زمن الكتابة. هذا ما أكتشفه دائماً عندما أتأمّل الكيفية التي بُنيَت بها التصوُّرات في نصوصي السابقة، أو زاوية الرؤية وعلاقتها ببُنية الرواية. لهذا أعود، في كلّ مرّة أثناء الاستراحات الطويلة التي آخذها من الكتابة، إلى نصوص عالمية وتراثية أُطالعها أحياناً مرّتين أو ثلاثاً، ثم أعاود التفكير في نصّ جديد وبرغبة أكبر في التجريب، من أجل إدراك الممكنات التي تمنحها الكتابة الروائية.

■ ما هو آخر عمل صدر لك وما هو عملك القادم؟

آخر رواية صدرت لي هي «الديوان الإسبرطي» عن «دار ميم» سنة 2018. وما صدر بعدها كان إعادة طبع فقط. كتبتُ روايةً العام الماضي، وكانت نصّاً أكثر حرية من الناحية التقنية، ينزع إلى التجريب على المستويات البنيوية للنصّ الروائي. ليسَت لي رغبة في نشرها، أو لنقُل إنّها نصّ كُتب لإرضاء حاجة فنّية ذاتية. أحياناً، تبدو التقنية في عين الكاتب مثل لعبة، يسعى أن يجرّب نتائج الاحتمالات بتغيير خوارزميّاتها أو التعديل فيها حتى يتوهّم أنّه بلغ النصّ أو الشكل المرتضى الموافق للحظة زمنية معينة، هذه اللحظة لا يلبث أن يتجاوزها في ظروف أخرى، وهكذا دواليك... إذ تتحوّل الكتابة إلى حلقات ما إن تنتهي من واحدةٍ حتى تتورّط في التي تليها.

■ هل أنت راضٍ عن إنتاجك ولماذا؟

لم أرضَ يوماً عمّا أكتب، بل لا أكاد أعود إلى قراءة ما أكتب بعد الطبع. أجد صعوبة في ذلك، وأستغرب أحياناً حين أسمع كُتّاباً يُشيدون بأعمالهم، أو يحيلون إليها برؤية يقينية. الرضا مسألة نسبية ووقتية، تتغيّر بتغيُّر القراءات والتجارب، وحتى رؤية العالم. التحوُّل سمة إنسانية ولا يمكن عبور النهر مرّتين - بتعبير هيرقليطس قبل قرون. ما زلتُ مؤمناً بهذه الفكرة، أنت اليوم لستَ نفسك في الغد، وكلّ ما تعتقده نسبياً يمكن أن تتخلّى عنه عند أول تجربة حياتية أو كتاب تقرأه، ولهذا أعتقد أنّ الثبات هو أخطر ما قد يواجهه الكاتب أو الإنسان بشكلٍ عام.

■ لو قُيّض لك البدء من جديد، أيّ مسار كنت ستختار؟

سأفضّل أن أكون قارئاً وفلّاحاً في الوقت نفسه؛ فالزراعة تُتيح لكَ ما لا يتيحه النص، هي تجربة فريدة وعميقة، وحلمي أن أغرس عدداً لا متناهياً من الأشجار، وأقف كلّ يوم عند حدود الغابة التي أوجدتها لأتأمّلها طويلاً. قد تبدو الفكرة مثالية أو ربما طوباوية، ولكنّها في الأخير تبقى رغبةً ذاتية على أمل أن تتحقّق في يوم ما.

■ ما هو التغيير الذي تنتظرنه أو تريده في العالم؟

في التجربة الوجودية، إمّا أن تعتقد وإمّا أن تفكّر. يمنحك التفكير الحريّة المصحوبة بالقلق، بينما يتيح لك الاعتقاد مساحةً أكبر من الهدوء والركون إلى اليقين. انطلاقاً من هذه الرؤية، لا أنتظر كثيراً من العالم بقدر ما أنتظر من نفسي، وعلى رأي ابن عربي «الإنسان عالم صغير، والعالم إنسان كبير». أو على رأي الشيخ عبد الحق بن سبعين: «الإنسان في العالم والعالم كلّه متماثل. والمتماثل واحد مع مثله، فالإنسان والعالم واحد».

■ شخصية من الماضي تود لقاءها، ولماذا هي بالذات؟

وددتُ لو التقيت الأمير عبد القادر الجزائريّ لأسباب كثيرة، لعلّ سبباً واحداً منها يكفي أن يجعله شخصية كثيفة ومتعالية. أوّلاً: قاد مقاومة جزائريّة خالصة دامت سنوات ضدّ الاحتلال الفرنسي، وبأخلاق تكاد تكون مثالية. ثانياً: الدور العظيم الذي أدّاه في إنقاذ المسيحيّين بالشام. وثالثاً: حرصُه على طبع كتاب «الفتوحات المكّية» للمتصوّف العظيم ابن عربي. هذه الجوانب الثلاثة تجعلني أفكّر، بشكل دائم، في شخصية الأمير، معتقداً أنّه لم يُعتَنَ به بطريقة جدّية، إذ اقتُصر على الجوانب السياسية والنضالية، وأُهملت الجوانب الروحية والأخلاقية، والتي يمكن أن يُستفاد منها كثيراً في تأسيس مشروع حقيقي للشخصية الوطنية.

الثبات أخطرُ ما قد يواجهه الكاتب والإنسان بشكل عام

أستغرب حين يشيد كُتّاب بأعمالهم أو يحيلون إليها

■ ماذا تقرأ الآن؟

أمامي الآن كتاب «البطل بألف وجه» لـجوزيف كامبل بترجمة حسين صقر، فقد صرتُ أكثر ميلاً إلى الأصول الأسطورية والفلسفية التأسيسية في الكتب المقدّسة والنصوص الكلاسيكية، بقراءة المصادر الأصلية، أو ما كُتب من دراسات عنها.

■ صديق يخطر على بالك أو كتاب تعود إليه دائماً؟

في الحقيقة هما صديقان، وكلاهما متوفّ. الأول: أستاذ الفلسفة علي عرعور، الذي استفدتُ من ثقافته الموسوعية كثيراً، ترافقني مقولاتُه ووجهات نظره دائماً. كان يخاطب المستقبل، ويرى بعين بصيرة تُفلسف العالم ببساطة، في حين لم تكن الرؤية واضحةً لي منذ سنوات. أمّا الصديق الثاني فهو الأستاذ الراحل حميد ناصر خوجة؛ أستاذ الأدب الفرنسي. شكّل هو الآخر جزءاً من وعيي حول التعدّد الثقافي في الجزائر، وعرّفني على أسماء لها حضورها وبصمتها في الثقافة الجزائرية. رافقتُه في سنواته الأخيرة، فاكتشفتُ مثقّفاً مثالياً وإنساناً حقيقياً، ومتصوّفاً زاهداً في الأضواء. وبرحيله، أعتقد أنّ الثقافة خسرت الكثير من النقاء.

■ ماذا تسمع الآن وهل تقترح علينا تجربة غنائية أو موسيقية يمكننا أن نشاركك سماعها؟

في السنة الأخيرة، لا أسمع إلّا الأغاني الجزائرية، القديمة والحديثة، وأركّز أكثر على التراثية منها، تلك التي تحمل طابعاً ملحمياً، مثل «واد السيسبان» وقصّة «علقمة». ربّما هي محاولة للبحث في البنيات والأصول، وكيف تتحوّل الأسطورة العربية أو الدينية في الفضاء المحلّي الجزائري حين تمتزج بالمكوّن البربري، وكيف تستعيدها الذاكرة الشعبية لتُعيد صياغتها داخل الفضاء المكاني والزماني لها، كما يأخذ السماعُ الصوفيّ الجزائري، وخصوصاً الطابعُ الصحراوي، حيّزاً مُهمّاً من هذه التجربة التي أعكف عليها.

بطاقة

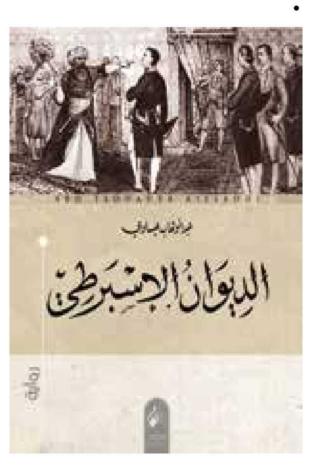

روائي وقاصٌّ جزائري من مواليد الجلفة عام 1985. صدرت له خمس روايات؛ هي: «سينما جاكوب» (2013)، و«سييرا دي موير تي» (2015)، و«الدوائر والأبواب» (2017)، و«سفر أعمال المنسيّين» (2018)، و«الديوان الإسبرطي» (2018)، إضافةً إلى مجموعة قصصية بعنوان «مجاز السرو» (2015). حاز عدّة جوائز من بينها: «جائزة آسيا جبّار للرواية» (2015)، و«جائزة كتارا للرواية العربية» (2017)، و«الجائزة العالمية للرواية العربية» (2020).

معرض

بيروت والستّينيات الذهبية التاريخ من منظور فنّي

نوستالجيا عربية في لبنان

يتتبّع المعرض المقام حالياً في برلين كوسموبوليتيةَ العاصمة اللبنانية في أجواء كانت مشبعة بالتسييس والصراعات والاستقطابات الإقليمية

برلين ـ **العربي الجديد**

«ذئب يعوي: ذكريات شاعر» لـ ضياء العزاوي، 84 × 104 سم، زيت على قماش، 1968 (من المعرض)

لطالما استعاد الأدبُ والفنّ ملامحَ بيروت ما قبل الحرب الأهلية التي اندلعت منتصف السبعينيات؛ صورة عن واقع لم يعد موجوداً، حيث السجلات الفكرية والثقافية التي رافقت ازدهار الصحافة ودور النشر والمسرح، ومناخات الحرّية السياسية التي لم تعرفها عواصم عربية أخرى في تلك المرحلة. حنينٌ يغلّف تلك الاستعادات، بنزوع نحو حالة مثالية لا تبدو متطابقة تماماً مع أحداث يختلف كثيرون حول روايتها، بحسب انحيازهم السياسي حينها. لكنّها تظلّ جديرةً بالتخييل والمراجعات، كما في معرض «بيروت والستينيات الذهبية: مانيفيستو هشاشة» الذي افتُتح في الخامس والعشرين من الشهر الماضي في «غاليري مارتن غروبيوس باو» ببرلين، ويتواصل حتى الثاني عشر من حزيران/ يونيو المقبل. يتتبع المعرض كوسموبوليتية العاصمة اللبنانية في أجواء كانت مشبعة في تسييسها، ضمن ما شهدته من صراعات واستقطابات إقليمية آنذاك، ما انعكس على المشهد التشكيلي اللبناني، الذي عبّر عن مزيج غير متجانس عبر أعمال فنانين لبنانيين وعرب.

يُعرض أكثر من مئتين وعشرين عملاً لخمسة وثلاثين فناناً، وحوالي مئتي وثيقة أرشيفية، في محاولة لبناء «التاريخ من منظور معاصر، مع التأكيد على الترابط بين الفن والنزاعات الاجتماعية السياسية، الحالية والماضية»، بحسب بيان المنظّمين.

يضيء قيّما المعرض، سام بردويل وتيل فيلرات، على لحظة التفاعل الذي مزجت بين نتاجات تشكيليين أتوا من مختلف البلدان العربية إلى لبنان، وبين نتاجات فنانيها، حيث برزت العديد من الغاليريهات الجديدة والمساحات الفنية المستقلّة وانتعشت المتاحف خلال ما يقارب الثلاثة عقود، لكنّ المشهد كان مليئاً بالثغرات والتناقضات في الأفكار والتوجّهات، والتي انفجرت في نهاية المطاف باقتتال داخليّ دام خمسة عشر عاماً. يُعرض أحد أعمال الفنان اللبناني عارف الريّس (1928 - 2005) الذي تحتشد فيه الجموع ووجها ذئب وبومة ضمن لغة تشكيلية تستعير عناصر الملصق لسياسي، إلى جانب عمل تجريدي لمواطنه شفيق عبّود (1926 - 2004) يشكّل معادلاً بصرياً للمدينة التي سكنها معظم فترات حياته، حيث يتجاور العمران بألوان زاهية متعدّدة. ويشتمل المعرض على عمل للفنان اللبناني الفلسطيني بول غيراغوسيان (1926 - 1993) تظهر فيه مجموعة من القمصان المتجاورة التي تكرّرت في العديد من لوحاته، ضمن مقارباته لمواضيع الذات والعائلة والألم والمنفى وحركة الشارع والعمّال، إلى جانب عمل لخليل زغيب (1911 - 1975) تظهر فيها نساء ريفيات وأطفالهنّ أمام بيوت قديمة تزيّنها الأعلام في أحد الأعياد.

كما تُعرض أعمالٌ للفنانين السوريين فاتح المدرس (1922 - 1999) وسيمون فتّال (1942)، والعراقيين هاشم سمرجي (1937) وضياء العزاوي (1939) ومهدي مطشر (1943)، والنحّاتة الأردنية منى السعودي (1945 - 2022)، والفلسطينية جوليانا سيرافيم (1934 - 2005).

يؤكّد المعرض على الترابط بين الفنّ والمناخات السياسية

النص الكامل على الموقع الالكتروني

إطلالة

إذا ما اختار الروائي تقديمَ شخصية الصامت

مَن ليس معنا

بقدر ما يتمكّن الكاتب من تقمّص موقف الشخصية الروائية، وفهم دوافع التردّد، بقدر ما يكون قادراً على صياغة موقف من لحم ودم وأفكار حرة

ممدوح عزام

لوحة لـ عبد الهادي الجزار

حيّر الصامتون في النزاعات الكُتّاب والسياسيين على مدار التاريخ، فقال الكاتب الفرنسي ميشيل دو مونتاني: «أن يظلّ المرء متردّداً وحائراً بين الطرفين، وأن يظل غير مبال لا يميل إلى أي طرف منهما وسط الاضطرابات الهائلة التي تمزّق البلاد، فذلك ما لا أعتبره شيئاً حسناً، ولا مُشرّفاً، ليس الأمر اختيار الطريق الأوسط، بل عدم أخذ أي طريق، إنه انتظار الحدث للميل للطرف الأمثل». تتضح الإدانة هنا، لا يتسامح مونتاني مع الصمت، ومن الواضح أنه يعتبر أن الصامتين الانتهازيين ينتظرون أن يُحسم أمر النزاع كي يعلنوا تأييدهم للمنتصر.

بينما قال المفكّر المجري جورج لوكاش: «إن والتر سكوت (الروائي البريطاني ومؤسّس الرواية التاريخية) هذا الواقعي الكبير، يدرك على أية حال بأن ما من حرب أهلية في التاريخ كانت على درجة من العنف بحيث تحوّل كامل السكان وبلا استثناء إلى أنصار متعصبين لهذا أو ذاك من المعسكرين المتخاصمين. وقد وقفت أقسام كبيرة من الناس دائماً بين المعسكرات بعواطف متقلبة، مرة مع هذا الطرف وأخرى مع ذاك».

ماذا على الروائي أن يفعل تجاه شخصياته من الصامتين؟ أمامه الكثير من الحلول، حين يجد الكثير من المواقف، ففي أي مواجهة بين الروائي والشخصية يتطلب الأمر، أمر الكتابة، من الروائي تفهّم الآخر. ليس الآخر هنا في الرواية مُحاوراً، وليس طرفاً في فريق آخر، بل هو في لحظة الكتابة الروائي نفسه، وبقدر ما يتمكّن الكاتب من تقمّص موقف الشخصية الروائية، بقدر ما يكون قادراً على صياغة موقف من لحم ودم وأفكار حرة.

لا يعني كلامي هنا أن الصامت على حق، لا نعرف حقيقة موقفه بسبب صمته، غير أن الروائي وحده، إذا ما اختار شخصية الصامت أو الرمادي، هو الذي يعرف، أو أن عليه أن يقدم لنا شخصية مكتملة تعلن لنا، للقراء وحدهم، وليس للشخصيات الأخرى التي تتعايش معها في الرواية، موقفها الحقيقي. وبقدر براعة الرواية في عرض شخصية حية من لحم ودم، بقدر ما نتعرّف إلى الحقيقة، ولنا بعد القراءة أن نحكم، وسوف يكون حكمنا أكثر عدالة، لأننا اطلعنا على مشاعر الإنسان من الداخل.

لدى الروائي يتسع أفق النظر، بينما يضيق لدى السياسي، ولهذا ترى أن السمة السائدة بين المشتغلين بالسياسة هي تقسيم الناس بحسب مواقفهم المعلنة، قسمة قاطعة بحسب ما يُظهرون، لا بما يُضمرون، بينما يسعى الروائي لمعرفة الموقف الوجداني الذي قد لا يظهر على سطح الحياة. يتفهم الروائي الصمت، أو يحاول أن يجعلنا نفهمه، بينما يدينه السياسي.

ماذا على الروائي أن يفعل تجاه شخصياته من الصامتين؟

صمت الأفراد يبلبل موقف السياسي، لا شك أنه لا يهتم بأولئك الذين أعلنوا عن موقفهم تجاه الأطراف المتنازعة، فمؤيدوه وأعداؤه، باتوا في الخنادق، بينما يتوجه إلى أولئك الذين لم يعلنوا موقفاً، أولئك الذين يبقون على الهامش، أو خارج دوائر الصراع، هم الذين يطلب منهم توضيح موقفهم، وهم الذين تهدّدهم تلك العبارة التي تتردّد طوال التاريخ: من ليس معنا فهو ضدنا.

(روائي من سورية)

فعاليات

تُعرَض، عند التاسعة والنصف من مساء اليوم، على خشبة «المسرح القومي» في القاهرة، مسرحية **نور الطريق**، من تأليف **عبد الرحيم كمال** وإخراج **محمد الخولي**. يتناول العرض مفهوم الأخلاق، ويشارك فيه كلٌّ من الممثّلين: **فردوس عبد الحميد** (الصورة)، و**خالد الذهبي**، إلى جانب **فرقة فراديس** للإنشاد الديني.

حتى نهاية حزيران/ يونيو المقبل، يُقيم «متحف الفن الإسلامي» في الدوحة ورشةً افتراضية بعنوان **الاختلافات بين العصور**، انطلقت مطلع أيلول/ سبتمبر من العام الماضي. يطّلع المشاركون على البيئات الملكية في مناطق وفترات تاريخية مختلفة من العالم الإسلامي، ويتعرّفون على تاريخ بعض الأُسَر الحاكمة وما جلبته معها من ماضيها قبل الإسلام، وترك أثره في الفنون.

أربع مدن عبر عدسة كريزويل: القاهرة والقدس وحلب وبغداد، عنوان معرض افتُتح في «متحف فيكتوريا آند ألبرت» بلندن في أيار/ مايو من العام الماضي ويتواصل حتى 29 من الشهر المقبل. يتضمّن المعرض صوراً التقطها المستشرق البريطاني **أرشيبالد كاميرون كريزويل** في تلك المدن مطلع القرن العشرين.

على هامش «مهرجان الموسيقى الصوفية والروحية» في مدينة نابل التونسية، يتواصل حتى مساء بعد غدٍ الأحد معرض **المعالم الدينية بمدينة نابل**، والذي افتُتح في التاسع عشر من الشهر الجاري. يضمّ المعرض صوراً للفوتوغرافيّين **إبراهيم بن نبهان**، و**حنان الذيب الزياني**، و**أمل التايب**، و**أحمد قراب** وغيرهم.